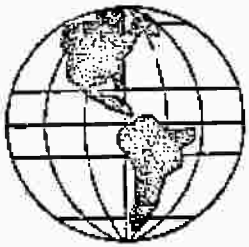

سير الزمان

فصل المأساة الاخير

الثورة الروسية

الثورة الالمانية

النهضة التركية الكمالية

للدكتور شبنلر

خطط الرئيس روزفلت

لانعاش الولايات المتحدة

الحوادث الدولية

سنة ١٩٣٣

اوربا بعد الحرب العالمية

فصل المأساة الاخير

١ — الثورة الروسية

كانت روسيا اقلّ الامم الاوربية الكبرى استعداداً لخوض غمار الحرب . ولكن البحث في الوثائق الرسمية اثبت أنها كانت البادئة في تعبئة الجيوش ، فاجتمع تحت ألويتها ما لا يقلّ عن خمسة عشر مليوناً من الجند . وما لبث الجيش ان ادرك بعد سنتين من القتال ، ان الطبقة الحاكمة في روسيا ، عاجزة عن قيادة الجيش او تغذيته او تجهيزه بالملابس والذخائر . فكان طبيعيًّا ان يلقي الجيش اللومَ في خذلانه على القيصر . وكان ضباط الجيش لا يدرون ، ما يقع في القصور الامبراطورية بين تمع القيصر وبصره . ولو انهم عرفوا ما كان يعرفهُ الوزراء حينئذٍ ، لما غادروا قراهم للاشتراك في الحرب . وكان القيصر ، ضعيف الارادة ، مبلبل الخاطر ، وكان لا يفقه ما قد يكون تأثير الحرب في روسيا . وكانت افعالهُ اليومية ، تسير بمقتضى اهواء القيصرة ، وهي امرأة غير متزنة ، تسيّرها اللذة ، ويسيطر عليها الراهب راسبوتين . وكان راسبوتين فلاّحاً من فلاّحي سيبيريا يحمل على رأسهِ ندبة جرحٍ اثر لضرب مبرّح اصابهُ لسرقتهِ المواشي فأصبح الآمر الناهي في البلاط الروسي وكان في نظر القيصرة نبيًّا يستطيع ان ينجي ابنها العليل ويمنحهُ الصحة والعافية . ولكن رجال البلاط عرفوا فيهِ ، رجلاً فاسداً منغمساً في اللذّات . فلما ضاق الاشراف بهِ ذرعاً ، دبّرت ضدّه مؤامرة ، قتل فيها سنة ١٩١٦

ثورة مارس سنة ١٩١٧

ولكن اغتيال راسبوتين لم يكن كافياً لاعادة الثقة ، الى الجنود الروس في صفوف القتال ، ولا الى العمال في مصانع الذخيرة . ولما تعدّدت حوادث الفساد والارتكاب ، فقد الجيش كل ثقتهِ في الحكومة . وكانت طبقة الحكام تحسُّ بقصورها وعجزها عن تنظيم البلاد — لولا الاة الحرب — ولكنها كانت مقيّدة بقيود التقاليد ، فلم تحرّك اصبعاً لتحسين الحال ، وتحويل الخيبة الى نجاح . فأخذ الجنود يفرّون من الصفوف ، حتى ليقال ان نحو مليون جنديٍّ روسيٍّ ، فرّوا من الجيش في شهر يناير سنة ١٩١٧ واخذت نفقات المعيشة ترتفع في المدن : حتى اصبحت طبقات العمّال على وشك الموت جوعاً

واذا الثورة تنفجر في بتروغراد . كان اليوم — ٢٣ مارس — يوم النساء الدولي ، فاغتنم النساء العاملات في العاصمة ، هذه الفرصة ، ليعلنّ اضرابهنّ . ولو ان الاضراب انحصر في النساء العاملات لقضي الامر بالقوة وبالحديد . ولكن العمّال ، رأوا في اضراب العاملات دعوة لهم ، فلم تنقض بضع ساعات حتى اعلن في بتروغراد اضراب عام ، وحفلت شوارعها بالمشاغبين . ودعي القيصر الى العاصمة فهرول اليها . ولكن العمال حالوا دون وصوله ، لانهم تصدّوا لقطاره ومنعوه من دخول المحطة فاضطرّ ان يعود من حيث أتى . وصدرت الاوامر الى جنود القوزاق بالهجوم على المضربين وتفريقهم ، ولكن القوزاق عطفوا على المضربين ، كأنهم واياهم على اتفاق . ثم دعيت فرقة المشاة لاطلاق النار على الجماهير . فرنّت أصداء طلقات متفرقة في الفضاء وقتل بعض المشاغبين . ولكن فرقة المشاق نفسها كانت تنفذ بعض الاوامر الصادرة اليها متلكئة . ولم تمض عليها فترة حتى انضمّت الى المضربين في الهجوم على مراكز البوليس . فلما كان اليوم الثالث من ايام الاضراب كان العمال قد اصبحوا اسياد بتروغراد . وكانوا لا يعلمون لماذا ثاروا ، ولا ما يفعلون وقد احرزوا النصر ، فالاضراب جاء عفواً ، كأن العمال قرّروا في ذوات نفوسهم ان ساعات العمل المرهقة والطعام اليسير الذي لا يسدّ جوعاً ، اصبحا مما لا يطاق . فلم يكن للمضربين خطة ، ولا زعماء ، ولا نظام

***

وكان في بتروغراد ، جمعية ثورية منظمة ، ولكنها دهشت لهذه الثورة المفاجئة ، لانها لم تكن تتوقعها . نعم ان الحزب الاشتراكي ، كان قد مضى عليه سنوات ، وهو يبثّ دعايته في صفوف العمال ، وفي سنة ١٩٠٣ كان الحزب قد قرّر ان الانتقال بالبلاد الى الدولة الاشتراكية ، لا يتمّ الاّ بالعنف ، وان الوسائل السلمية لا تجدي نفعاً . فعرف هذا الفريق القائل بالعنف ، بفريق البولشفيك اي الاكثرية . وعرف الفريق الآخر بالمنشفيك . وحدثت فتنة سنة ١٩٠٥ نشأت عن خذلان روسيا في حربها مع اليابان . وكان العمال قد انتخبوا مجالس — سوفيتات Soviets — من صفوفهم تتولى ادارة المصانع ، وكان الجنود والفلاحون قد فعلوا ما هو شبيه بذلك في بعض القرى والثكنات . فلما حدثت فتنة سنة ١٩٠٥ واخمدت ، ابعد زعماء الحزب الاشتراكي من روسيا . لذلك لما حدثت ثورة ١٩١٧ الاولى كانت ثورة من دون زعماء ، يتولون توجيهها

ولكن العمال في سنة ١٩١٧ ظلوا يذكرون المجالس — السوفيت — التي انتخبت سنة ١٩٠٥ لذلك كان من الطبيعي ان يتجهوا بعد فوزهم الى انتخاب مجالس على نحط ما فعلوا سنة ١٩٠٥ وكان معظم الممثلين الذين اختاروهم لهذه المجالس من الفريق المنشفيكي في الحزب الاشتراكي القائل بوجوب اتباع الوسائل السلمية ، في تحويل الدولة الى النظام الاشتراكي . ولما كان رجال الفريق المنشفيكي ، معارضين في استعمال العنف ، لم يختاروا للحكومة رجالاً من صفوف الاشتراكيين ، بل من صفوف الاحرار ، الميالين الى الاصلاح . وكذلك أنشئت حكومة وقتية برآسة البرنس لووف Louv فلما تسلّمت هذه الحكومة مقاليد الحكم ، لم تدع مجالس السوفيت بلاغاً نهائيّاً بوجوب اصلاح

حال العمال ، بل أكتفت بطلب حرية القول وحرية الصحافة . والواقع ان هذه المجالس ، ما كانت تدري الهدف الذي ترمي اليه . ولا كان وزراء البرنس لووف يدرون ما هم يريدون . وقد قال تروتسكي في تاريخه للثورة الروسية ، واصفاً هذه الحالة النادرة : — « كان الثوّار يتوسلون الى الاحرار ليخلصوا الثورة من الاخفاق . وكان الاحرار يتوسلون الى الملكيين لكي يخلصوا الاحرار من خيبة » . كان العمال قد ثاروا في بتروغراد فأيّدهم العمال في موسكو . ولكن روسيا لم يكن فيها رجل واحد ، يعرف ان يحوّل هذه الثورة الى انقلاب تامّ

لنين

كان لنين الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يتولى الزعامة . ولنين كان منفيًّا من بلاده ، يقيم في سويسرا . فلما قرأ في الصحف عن فتنة بتروغراد ، ادرك ان اليوم الذي ما زال يتطلع اليه ويعمل في سبيله من ٢٦ سنة قد جاء وهو في السابعة والاربعين من عمره . كان والده معلّم مدرسة قد ارتقى حتى صار مفتشاً للمعارف ، ثم رقي الى طبقة الاشراف لتنظيمه تعليم الشبان في مقاطعة على نهر الفولجا . فلما كان لنين في السابعة عشرة من عمره ، أُعدم شقيقهُ الاكبر لاشتراكه في مؤامرة دُبّرت لاغتيال القيصر اسكندر الثالث . فتحوّل لنين من ذلك اليوم الى صفوف الثوار وقبل ان يتم دراستهُ القانونية ، وينال شهادتهُ . كان قد انشأ اتحاداً للكفاح في سبيل تحرير طبقة العمال . وكان قد قرأ كتابات كارل ماركس ، فآمن معهُ ، بانهُ حيث تكون وسائل الانتاج ملكاً للافراد ، لا يتورّع هؤلاء الافراد عن ظلم العمال في سبيل جني الربح الطائل وحشد الثروة . فيفرضون عليهم عملاً يزداد ارهاقاً حتى ينقلب العمال على اسيادهم ويسيطرون هم على وسائل الانتاج . وفي سنة ١٨٩٦ نفي لنين الى سيبيريا مدة ثلاث سنوات ، لانهُ كان يدعو عمال بتروغراد ، الى الانتفاض على الدولة . وكانت فتاة تدعى كروبسكايا ، قد اشتركت معهُ في دعايته فتبعتهُ الى المنفى ، واصبحت زوجتهُ . فكتب لنين في منفاه مؤلفهُ العظيم ، (نشوء الرأسمالية في روسيا) فلما انقضت مدة النفي ، ذهب الى مونيخ حيث انشأ جريدة ثورية . وفي سنة ١٩٠٣ كان من فريق البولشفيك الذي انفصل عن الحزب الاشتراكي . ولم يشترك في فتنة ١٩٠٥ ، ولكنّ أثرهُ ظهر في بعض حوادث التمرد البحرية التي وقعت في كرونستاد وسفيبورج في السنة التالية . ثم ذهب مع زوجته الى باريس ومنها الى لندن حيث اسبح محوراً لمساعي فريق من الثوّار الروس . فلما نشبت الحرب الكبرى كان هو وزوجتهُ في زوريخ يعيشان في غرفة رثّة

كانت الحرب في نظر لنين ، عملاً جنونيًّا ، فيها القضاء المبرم على الحضارة الرأسمالية القائمة على الاستبداد والمنافسة ، الحضارة التي قضى حياتهُ مشهّراً بمساويها . وكان من البدء معارضاً في خوض روسيا لغمراتها ، وكان يحسّ ان طبقات العمال في روسيا ، غير راضية عنها كذلك

فلما جاءتهُ انباء الفتنة التي وقعت في ٢٣ مارس ١٩١٧ كان يعلم ما يتحتّم عليهِ ، والى اين يجب ان

يتجه . على ان دون الحلفاء ، رفضوا ان يسمحوا لهُ في اختراق بلدانها للعودة الى روسيا . ولكن المانيا ، سمحت لهُ في ذلك املاً منها في انهُ يدعو الى السلم عند عودته بيد انها اشترطت عليهِ وعلى صحبهِ ان لا يغادر احد منهم القطار الذي يقلهم في ارض المانية

وفي مساء ١٦ ابريل سنة ١٩١٧ وصل لنين الى محطة فنلندا في بتروغراد . فقابلهُ فيها زعماء الحزب البولشفيكي وساروا بهِ رغماً عنهُ الى ردهة الانتظار ، حيث اعدُّوا لهُ حفلة استقبال . وكان الجمهور يهتف طالباً من الزعيم خطبة وكان ينتظر منهُ ان يقول كلمات منمقة يهنئهم بها على الثورة ، ولكن خطبته صعقتهم . فانه لعن البولشفيك لانهم ضيَّعوا الفرصة السانحة للقبض على زمام الامور . واعلن ان الحكومة الوقتية التي يرئسها البرنس لوف يجب ان تسقط في الحال وان السلطان ، كلَّ السلطان ، يجب ان يكون في ايدي السوفيت ، وان روسيا ، يجب ان تنسحب من الحرب

فلما ذهب ، الى دار الحزب البولشفيكي — وكانت البناية خاصة باحدى راقصات القيصر قبلاً — ردَّد الكلام الذي قالهُ في استقبال المحطة . فحسبهُ البولشفيك مجنوناً او على الاقل حسبوهُ منفيًّا قد فقد صلتهُ بسير الحوادث في روسيا . ولكن الحكومة الوقتية — وكان المسيطر عليها رجل يدعى كرنسكي — كانت في عجزها كحكومة القيصر . ثم تمرَّد بحَّارة الاسطول في كرونستاد وأنشأوا مجالس سوفيتية . فلما رفض الجيش تنفيذ خطة الهجوم التي اعدَّت لشهر يونيو ، بدأ البولشفيك ينضمون رويداً رويداً الى لنين ، ويلتفون بآرائهِ . ولكنهُ اضطرَّ في خلال ذلك ان يبتعد عن بتروغراد الى ان تسنح الفرصة التالية للثورة فذهب الى فنلندا ، وجعل يرقب الحوادث من هناك ، وكان على اتصال دائم بحزبهِ ، فقال لهم يجب ان يكون شعارنا : — « السلطان للسوفيت ، والارض للفلاحين ، والخبز للجوعى ، والسلام لجميع الناس » . كان هذا شعاره الذي يؤمن بهِ ، وقد اتيح لهُ ان يعيش حتى يحققهُ

ثورة نوفمبر

عاد لنين الى بتروغراد في نوفمبر ، متخفياً . وفي جلسة عقدها الحزب البولشفيكي ، ودامت طوال الليل اقنعهُ بوجوب الاضراب ضدّ حكومة كرنسكي . فأنشىء حرس احمر ، ونظمت المجالس السوفيتية التي اكثريتها من البولشفيك للتمهيد ، لذلك الاضراب . وفي ليلة ٦ نوفمبر (كان يوم ٢٤ اكتوبر بحسب التقويم الرومي اليولياني) اعلن لنين وتروتسكي الثورة بالتلفون . كانا حينئذٍ على اتصال بالاسطول الروسي في كرونستاد وبالحرس الاحمر ، وبالذين عهد اليهم في قطع خطوط المواصلات حتى لا تستطيع حكومة كرنسكي طلب النجدة . قال تروتسكي لهؤلاء . اذا لم تستطيعوا تحقيق ما عهد اليكم بالكلام فاستعملوا السلاح

فلما استيقظت بتروغراد في الصباح كان البولشفيك قد تقلدوا زمام الاحكام وأنشأوا مجلس قوميسيرية الشعب لتوليها . وقد كتب تروتسكي في سيرتهِ وصف ذلك قال :— من دون اضطراب

ومن دون حرب او سفك دماء ، احتلّ الجنود او البحارة او الحرس الاحمر ، داراً بعد اخرى ، بناء على اوامر صادرة من مقهد سمولني (مركز ادارة الحزب البولشفيكي) . ومن محاسن ما يرويه تروتسكي ، انه عهد الى بحّار انكليزي يدعى ماركن في حماية مخازن الخمر ، حتى لا يتسرب عليها الثوار ويسكروا بها . فلما عجز عن حمايتها حطّم زجاجاتها فجرت الخمر في مجاري المدينة الى نهر النيفا

كان العمل الذي اتخذته الحكومة الجديدة على عاتقها ، من وراء المقدرة الانسانية . « السلطان للسوفيت » . لقد انشئت مجالس السوفيت في بتروغراد وموسكو وكرونستاد . ولكن لا بدّ من اقناع سائر البلاد الروسية ، باقتفاء اثر هذه المدن . « الارض للفلاحين » . نعم لا شك في ان الفلاحين لا يتوانون عن اغتصاب الارض ولكن المشكلة كلّ المشكلة في توزيعها بالعدل على جميع الناس . « الخبز للجوعى » . لقد صادرت حكومة السوفيت ، الغذاء والخبز ، ووزعت التذاكر على مؤيديها ، وجعلت تمنح كل حامل تذكرة نصيباً من الاغذية المصادرة . اما الذين يقاومون السوفيت فليموتوا جوعاً . و « السلام لجميع الناس » . ان الحوائل التي تحول دون تحقيق هذا الغرض ، يصعب تخطيها . فروسيا مرتبطة بمعاهدة مع الحلفاء بأن لا تنفرد في عقد الصلح . ولكنّ البولشفيك انكروا هذه المعاهدة وانكروا كذلك اية رابطة تربطهم بالحلفاء . قالوا ان الحرب هي حرب الرأسماليين ، وليست حرب الشعب الروسي . وكذلك اقترح ، في ٢٠ نوفمبر عقد هدنة مع المانيا وأحلافها ، وفي ٢٠ دسمبر عقد مؤتمر الصلح في مدينة برست ليتوفسك

كان مؤتمر برست ليتوفسك من اغرب المؤتمرات . هنا على جانب واحد من المائدة الخضراء ، كان يمثل المانيا الامبراطورية حملة القاب ضخمة ، يقابلهم على الجانب الآخر ، تروتسكي ، ابن فلاح يهودي ، منفوش الشعر ، قضى حياته بين السجن والمنفى . وما كان تروتسكي يحمل في حقيبته شيئاً يستطيع ان يساوم به . ذلك ان روسيا نفسها كانت قد طلبت عقد الهدنة ، لعجزها عن مواصلة الحرب ، فكأنها قد هزمت ، ولالمانيا الحق في ان تملي شروطها عليها . ولكن ثلاثة اشهر انقضت ، قبلما وقّعت المعاهدة . في خلال هذه الاشهر الثلاثة ، ماطل تروتسكي وجادل وناقش ، حتى امتلأت صحف العالم ، بأنباء المؤتمر . فكان مؤتمر برست ليتوفسك اعلاناً عظيماً للحكومة البولشفيكية الجديدة . فلما نشرت مواد المعاهدة تبيّن انها شديدة كلّ الشدة ومقتضاها سلمت روسيا بخسارة اوقرانيا وبولونيا وفنلندا ولتوانيا واستونيا ولتنيا اذ منحت هذه البلدان استقلالها . وخسرت بلاد القوقاس ايضاً لتركيا . وكذلك خسرت روسيا ، ربع سكانها ، وثلاثة ارباع حقول الحنطة في بلادها . وفرضت عليها غرامة قدرها ستة ملايين مارك

كانت معاهدة برست ليتوفسك معاهدة املتها المانيا الظافرة . ولكنها في الواقع كانت نصراً لتروتسكي ، لانهُ احرز الاعلان المطلوب للحكومة الروسية الجديدة ، حالة ان المانيا ، وهي لا تزال مشتبكة في الحرب مع الدول الاخرى ، لا تستطيع ان تنفذ شروط المعاهدة بالسيف . وعاد تروتسكي من برست ليتوفسك الى بتروغراد ، لينظم الجيش الاحمر لمقاومة اعداء النظام الجديد

٢ — الثورة الالمانية

كانت المانيا ، في مستهلّ سنة ١٩١٨ في خطر من نشوب ثورة فيها ، كما كانت روسيا في مستهلّ السنة السابقة . ففي يناير سنة ١٩١٨ اعلن اضراب عام في برلين فبطشت الحكومة باصحابه . واضطرّ العمال ان يعودوا الى العمل بالقوة . وفي يوليو اعدّ اركان حرب الجيش الالماني ، خطة هجوم ، ظنّ كلّ الخبراء العسكريين ان نجاحها مكفول . ذلك ان روسيا كانت قد خرجت من الحرب ، وايطاليا قد هزمت ، فاستطاع الالمان ان ينقلوا وحدات جيشهم الى الجبهة الغربية . ولكن الخطة منيت بالخيبة . واخفق الالمان في معركة المارن الثانية ولم يخترقوا صفوف الحلفاء . فسرت موجة يأس وقنوط في طبقات الامة الالمانية

وتلا معركة المارن الثانية ، هجوم الحلفاء . وانسحبت بلغاريا من المعترك في سبتمبر . وتركيا في اكتوبر ، وكانت المانيا قد حسمت حكامها ، فدعي البرنس ماكس اوف بادن — وهو من الاحرار — لانشاء وزارة . واشار الجنرال لودندورف على البرنس ماكس ، في ٣ اكتوبر بان يبعث الى رئيس الولايات المتحدة الاميركية ، بمذكرة يقترح فيها المحادثة في عقد الصلح على اساس شروطه الاربعة عشر ، وكان ولسن قد اقترحها اساساً للصلح في خطبة اذاعها في يناير سنة ١٩١٨ وبمقتضاها كان يتعين على المانيا ان تخلي البلجيك وروسيا والبلقان ، وان تتخلى عن الالزاس لورين لفرنسا ، وتمزّق معاهدة برست ليتوفسك الجائرة مع روسيا . هذا من حيث تخطيط الخريطة الاوربية . اما من حيث المبادىء العامة ، فقد اقترح ولسن في خطبته المشار اليها ، عقد معاهدات السلام في جلسات علنية ، ويجب ان تنطوي هذه المعاهدات ، على حرية البحار المطلقة وازالة الحواجز الاقتصادية على قدر الامكان وانشاء مساواة بين الامم في احوال التجارة

وجاء نبأ المذكرة التي بعث بها البرنس ماكس ، طالباً الصلح على أساس شروط ولسن ، ضربة اقسى من الاخفاق في معركة المارن ، على انفس المعنوية الالمانية . واذن فليس مما يبعث على الدهشة ان يرفض الاسطول الالماني ، تنفيذ الاوامر الصادرة اليه في أواخر اكتوبر ، بالخروج من ليزهافن ومهاجمة شواطىء البلجيك . وفي الحال وزعت وحدات الاسطول على اربعة مرافىء المانية وكذلك اجتنب حدوث تمرّد بين رجاله . ولكن ذلك لم يطل . ففي ٤ نوفمبر ، احتلّ بحّارة السفن المرابطة في كيل ، مدينة كيل ، وطالبوا بالاعتراف بمجالسهم السوفيتية ، فسيّرت فرقة من المشاة عليهم ، ولكن الجنود سلّموا سلاحهم ، وانشأوا مجالس سوفيتية خاصة بهم . وفي ٥ نوفمبر ، رفع العلم الاحمر على وحدات الاسطول الالماني في كيل

وكذلك تحوّل التمرّد الى ثورة سياسية . كانت المدن الالمانية على شواطىء بحر بلطيق ، قد رفعت العلم الاحمر ، وكان البحّارة والجنود والعمال ، قد قبضوا على زمام الامر فيها وانشأوا مجالسهم السوفيتية . اما في بافاريا الكاثوليكية ، فقام رجل يدعي كورت أيسنر — وهو كاتب

مشهور — وقاد مظاهرة ضدّ مواصلة الحرب ، وتمرّد الجند ، وفي صباح ٩ نوفمبر ، استيقظ سكان باڤاريا فرأوا في الشوارع الواحاً تعلن ان باڤاريا اصبحت جمهورية حرّة مؤلفة من مجالس الجنود والعمال والفلاحين السوفيتية . في ذلك اليوم نفسه ، انفجرت الثورة في برلين ، وكان البرنس ماكس قد اقنع الامبراطور غليوم في الصباح ، بوجوب التنازل عن العرش ، ومغادرة البلاد . لان ذلك هو السبيل الوحيد ، لاجتناب شرب حرب اهلية . ولكن التنازل عن العرش جاء متأخراً ، فلم ينجّ الحكومة من السقوط . ففي الصباح اعلن اضراب عام ، ورفضت الجنود ان تطرد الجماهير من الشوارع ، فاستقال البرنس ماكس ، وتولى ايبرت زعيم الجناح الايمن من حزب الاشتراكيين الدمقراطيين (وهو يقابل المنشيك في روسيا) تأليف حكومة اشتراكية معتدلة ، واجتمع ممثلو مجالس السوفيت الخاصة بالجنود والعمال ، لوضع نظام للحكومة المحلية

على ان الشيوعيين لم يرضوا عن سمة الاعتدال في هذا الانقلاب فاشتبكوا في بعض معارك في شوارع المدينة بعد ما ارخى الظلام سدوله

لم يقتل في خلال النهار اكثر من خمسة عشر رجلاً ، راحوا فدية الانقلاب من النظام الامبراطوري الى الحكم الشعبي في المانيا . وتبع سقوط آل هوهنزولرن سقوط نحو عشرين بيتاً من البيوت المالكة في الدول الالمانية . وكذلك اصبحت المانيا جمهورية برآسة ايبرت ، صالح الروح

***

كانت المشكلة الاولى التي واجهتها الحكومة الجديدة ، مشكلة انهاء الحرب . كان البرنس ماكس قد بعث بالسياسي ارزبرجر ، لمفاوضة فوش في عقد هدنة . فكانت الشروط التي املاها فوش ، شديدة صارمة ، ومنها انشاء منطقة حياد على ضفة الرين الالمانية ، وتسليم جميع مدافع الجيش الالماني وطياراته ، وسفن الاسطول . ولكن الالمان اضطروا الى التسليم بها في ١١ نوفمبر ، وهم يرجون ان تكون شروط الصلح اقلّ صرامة منها . المهم ولسن ان شروطه الاربعة عشر سوف تكون اساساً لمعاهدات الصلح !

وكانت المشكلة الثانية التي واجهتها الحكومة الجديدة ، مشكلة تغذية الامة الالمانية . ذلك ان الثورة كانت قد حالت دون انتاج المواد الغذائية فمات كثيرون جوعاً . وفي الشهور الثلاثة الاولى من عهد الجمهورية زادت وفيات الاطفال ثلاثة اضعاف . ولولا جمعيات الغوث الاميركية ، لفشا الموت جوعاً في المانيا الجمهورية

اما المشكلة الثالثة فكانت معالجة المقاومة العنيفة للجمهورية ، من ناحية الحزب الشيوعي المعروف بحزب « سپارتاكس » . ففي ٩ نوفمبر طلب الشيوعيون ، تحديد يوم العمل بست ساعات واستيلاء الامة على البنوك والارض والصناعات والتنازل عن السلطة لمجالس السوفيتية . وكان حزب ايبرت ، حزب الاشتراكيين الدمقراطيين ، يؤمن بالحكومة البرلمانية ، ورغماً عن المظاهرات العنيفة التي قام بها الشيوعيون ، قرّرت الحكومة اصدار الاوامر لانتخاب جمعية تأسيسية

ولكن زعماء الشيوعيين امثال ليبنخت وروزا لوكسمبرج ، قرّروا ان يكافحوا ، على مثال ما كافح لنين ، لجعل المانيا شيوعية . ولكنهم كان يعوزهم عبقرية لنين . ففي ٦ يناير ١٩١٩ احتلّوا ادارات الصحف ووزارة الحربية ودار محطة برلين ، ولكنهم لم يتمكنوا من اثبات قيها ، واضطرّوا الى التراجع امام النار التي اطلقها عليهم فرق الجيش الامبراطوري . وقد كتب احد الذين شهدوا تلك الايام في برلين قال : « ولو كان للسپارتاكيين زعماء حربيون ، واستبدلوا الكلام والخطابة بالحرب ، لسهل عليهم اخراج الحكومة الاشتراكية من الوهلسترام واقامة النظام السوفيتي في برلين » . ولكن ثورتهم تبعها ، نوع من حكم الارهاب في برلين ، وقبض الجمهور على ليبنخت وروزا لوكسمبرج وهما في طريقهما الى السجن وقتلا شرّ قتلة

***

ومع انخذال السپارتاكيين في فتنة ٦ يناير ظلّ الغموض يكتنف المصير النهائي بين المعتدلين والمتطرفين . فالبرلمان الجديد انتخب ايبرت رئيساً للريخ ، ولكن السپارتاكيين رفضوا ان يعترفوا بالبرلمان . وفي مارس ، احتلّ السوفيت في برلين ، الجانب الشرقي من المدينة . ولولا العوبة ابتدعها نوسكي Noske وزير الدفاع ، لكان الشيوعيون فازوا في احداث الانقلاب . ذلك ان نوسكي اعلن للصحف ان الشيوعيين قتلوا ستة وخمسين رجلاً من رجال البوليس ، وذكر اسماءهم واحداً واحداً فانقلبت الامة على الشيوعيين . وكذلك تمكن نوسكي من اخماد الثورة بعد اربعة ايام من القتال ، سقط في خلالها ١٢٠٠ قتيل في برلين . وخمد الاضطراب في النواحي الاخرى ، بعد تسليم يسير، لمطالب السوفيت ، في كونجسبرج وزسلو وسيليزيا العليا وهمبرج وغيرها

تخبا صوت الشيوعين ، حتى الربيع واذا الاضراب يتلو الاضراب في المناطق الصناعية في الرور وامسن . ولكن الحكومة تغلبت على المضربين بالحكم العرفي ، ومنع الطعام عن المناطق المضربة حتى يعود العمال الى العمل . وحدث شغب في همبرج وبرنسويك ودرسدن . اما في مونيخ فلما اغتيل أيسنر قام الشيوعيون يحتجّون واعلنوا انشاء جمهورية سوفيتية ثانية . ولكن نوسكي لم يلق صعوبة كبيرة في تحطيم سوفيت باڤاريا . وكذلك ضعف شأن الشيوعيين في المانيا . فلما اديلت المانيا من مؤتمر الصلح تلك الضربة القاسية — معاهدة فرساي التي اعلنت في ٨ مايو ١٩١٩ — نسي الالمان الحرب الاهلية ، واجتمعوا حول حكومة الرئيس ايبرت

***

في كلا روسيا والمانيا ، فرضت الحرب العالمية على الامة بواسطة حكومة اوتوقراطية . وفي كلا البلدين ، افضت الحرب الى ثورة . وفي كلتا الثورتين ، انشئت اولاً حكومة حرّة ، (حكومة البرنس لووف وحكومة البرنس ماكس) . اما المانيا فكان فيها طبقة متوسطة قوية احتفظت بالحكومة البرلمانية والنظام الرأسمالي . وأما في روسيا ، فان الطبقة المتوسطة تخاذلت امام حكومة العمال ، يقودها ويدير دفتها نبوغ لنين

المشكلات الاجتماعية الكبرى في الشرق العربي

النهضة التركية الكمالية

او الحياة بعد الموت

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

دعونا النهضة التركية عقب الحرب العالمية « كمالية » للقسط الوافر الذي استقلّ به الغازي مصطفى كمال باشا في احداثها وهي تختلف عن الفاشستية والنازية اختلافاً جوهرياً في انها لم تكن تغلباً حاسماً فقط على حكومة من ابناء البلاد يرأسها خليفة تحفّ به العقائد المتوارثة بل كانت ايضاً انتصاراً باهراً في ميدان الحرب على دولة اجنبية يعضدها الحلفاء وفي مقدمتهم انكلتره وانقاذاً للشعب التركي من الاضمحلال حتى اذا كان هنالك شيء يدعى حياة بعد الموت فهو تجدد شباب تركيا بعد الهرم ونهوض ابنائها ينفضون تراب الموت السياسي عن وجوههم . لا جرم ان هذه النهضة اتخذت شكلاً عسكرياً منذ ما تألفت لان رجالها من الجنود وفيها جميع الفضائل والنقائص التي عرفت في اعمال الرجال العسكريين ، ولم تبلغ المانيا في ادق ساعات محنتها ولا ايطاليا في اشأم ازماتها ما بلغته تركيا يوم احتلّ الحلفاء عاصمتها وسخر الانكليز الجيش اليوناني لاكتساح ازمير وداخليتها وامضى الخليفة محمد السادس حفيد محمد الفاتح ! معاهدة (سيفر) الطائفة بالمخازي والحافلة بالنصوص القاضية على الحياة القومية التركية قضاء مبرماً . فقد تنازل فيها هو وحكومته والمجلس الاعلى الذي عقده عن تراقيا وازمير وداخليتها وجانب من الدردنيل لليونان وسمحوا بتأليف دولة ارمنية في لب بلادهم وسجلوا على انفسهم ديوناً باسم تعويضات لا يمكن اداؤها الا اذا عاشوا ابد الدهر في ربقة الذل واعادوا سلطة الامتيازات الاجنبية الى سالف مجدها فرضوا ان يكونوا وهم في بلادهم ادنى مرتبة من الاجنبي النازل بها وقبلوا الاّ يكون لهم جيش او اسطول لا في الغبراء ولا على ظهر الماء ولا في كبد السماء . وقصارى القول انهم وضعوا المناديل في اعناقهم ورفعوا ايديهم بالاستسلام ، وما دوّنا هذه الخلاصة المخزية الاّ لنبين للقراء في العالم العربي كيف تعمل الهمة الثابتة والعزيمة الصادقة في انهاض الركب المقعدة ، وكيف تكون الحياة بعد الموت ، وفي ميسورهم الآن ان يتسروا الانقلاب

الكمالي الخطير من وجهتيه السياسية والاجتماعية . وغني عن البيان ان الوطنيين الترك ارادوا من الوجهة السياسية ان يكونوا قبل كل شيء اسياداً في بلادهم فضمنوا هذه السيادة بحجة السلاح الدامغة ، لان الذي يملك القوة لا يحتاج الى برهان آخر ، ثم طهروا بلادهم تطهيراً سياسيًّا من الطراز الاول وذلك بالغاء التدخل الاجنبي الغاءً صريحاً باتًّا حتى صارت « الاجنبية » في تركيا الحديثة وبالاً على صاحبها وسبباً من الاسباب التي تحسب عليه بدلاً من ان تحسب له . فاذا اراد اجنبي اليوم ان يباشر عملاً مجدياً في تركيا فضّل ان يكون له شريك وطني يحميه عند الحاجة بخلاف ما يعمله الوطنيون في بعض البلدان العربية حيث يبحثون عن الشريك الاجنبي لتحقيق هذه الحماية ، ثم لم تعد مسألة الارمن مسألة انشاء دولة ارمنية في لب الاناضول ولا قضية اليونان قضية تأليف امبراطورية يونانية على انقاض الدولة العثمانية بل المسألة كلها التوسل بالطرق الممكنة للمحافظة على البقية الباقية من هذه « الاعضاء الاثرية » في تركيا الحديثة كما حرص علماء الانسان عبثاً على المحافظة على الافراد القلائل من اهل (تسمانيا) الذين انقرضوا على بكرة ابيهم في اواخر القرن الماضي . ومما يدل على مقدار التأثر في الذهنية التركية مما اصابها من الكبرياء الاجنبية في البلاد ان منشأة دولية في الاستانة تابعة لسكة حديد الشرق ومراكب النوم فيها غفل مديرها الايطالي في السنة الماضية فرض على المستخدمين الوطنيين ان يتكلموا بلغتهم على التلفون — يعني حرّم على الترك ان يتكلموا بالتركية في الاستانة ! — فكان الويل وكان الثبور وكانت عظائم الامور. ولولا هربه من شباك المكتب لهجم عليه المتجمهرون من الموظفين والطلبة وعلموه درساً لن ينساه في احترام اللغة التركية . فان هذا مما نعانيه في بعض اقطار العالم العربي حيث تكتب الاعلانات حتى للوطنيين باللغات الاجنبية ، وفي بعض مسارح السينما تترجم المناظر بالانكليزية والفرنسية بل باليونانية ايضاً ولا تترجم بالعربية ، وان ترجمت فقد توضع على لوح حقير في الزاوية المهملة وبلغة مغلوطة لا تنطبق على المعنى . كل ذلك احتقاراً لها — ومن احتقر لغة فقد احتقر اهلها . وحدث لي في سبتمبر الماضي انني ارسلت تعزية الى بغداد بوفاة الملك فيصل فأبت شركة (ايسترن) قبولها لانها مكتوبة بالعربية مما حملني على ارسالها بواسطة شركة ماركوني ، يعني ان بعض الفرنجة يأبون علينا ان نتخاطب في اقطارنا بلغتنا ، والغريب ان يجري ذلك كله امام الوطنيين من غير اقل ملاحظة فعّالة تبدو منهم كأنّ الامر لا يعنيهم ما داموا قد تعلموا تلك اللغات الاوربية وامتازوا على سائر اخوانهم في الوطن بفهمها فكأن هذه الرشوة الادبية التي فرحوا بها ألهتهم عن ذاك الواجب المقدس

***

وقد دلني الاستقراء في الشرق والغرب على ان معيار حب الاستقلال في الامة يكون على قدر حرمتها للغتها وسعيها لانعاشها ، وان الذي لا يغار على لغته لا يغار على أمته

وتدل مثل هذه المظاهر في الترك على ما تأصل في نفوسهم من النفرة من الحالة السياسية التي كانوا عليها ومن تسلط الاجانب عليهم في عقر دارهم ليس فقط بالامتيازات الاجنبية المنسية التي كان هؤلاء يتمتعون بها بل بالمظاهر الاخرى اللغوية والادبية التي تجعل للاجنبي ميزة على ابن البلاد، وقد تعدت محاربة الوطنيين الترك السياسة الاجنبية التي خضعت لها الدولة العثمانية في الماضي الى محاربة الاوضاع السياسية التركية الماضية نفسها ؛ وساعد على ذلك خنوع السلطان محمد السادس وحكومته واقدامهم على امضاء معاهدة ستبقى رمزاً لانحلال الخلافة العثمانية وزوال كل اثر من آثار عظمتها . فاذا اضفنا الى هذا العمل المزري ان الخلافة في السنين الاخيرة ولا سيما في زمن السلطان عبد الحميد كانت بؤرة الرجعى ومؤئل المجاهدين وحط آمال المتطرفين من اهل المحافظة ادركنا الاسباب التي أوجدت حول الغازي من جاراه من المخلصين على الغاء الخلافة من تركيا وحمو أثرها من ادمغة الترك ومحاربتها في البلاد الاخرى خشية تأثيرها في البقية الباقية من المؤمنين بها

***

ولكن سيبقى السؤال الآتي ماثلاً في اذهان الكثيرين من الاختصاصيين بالشؤون السياسية العالمية — ناهيك بمن يعنون بالشؤون الدينية الاجتماعية — وهو : ألا تستطيع النهضة التركية الحديثة ان تحتفظ بالخلافة اداة للسياسة الخارجية كما تفعل اوربا العلمانية التوسعية في اعتمادها على الاكليروس وان تمنع جولانها الداخلي بحصرها في منطقة معينة لا تتعداها ؟ ومما لاشك فيه على الاطلاق ان خلافة روحية عليها مسحة من تقديس القرون الوسطى قد تكون بأيدي الكماليين في مثل البحران السياسي العالمي الحاضر سلاحاً ماضياً فيما لهم من العلائق بالدول الاوربية. قال (دليزل بورنس) في كتابه السياسة الدولية [1]

« اما الاسلام فهو الدين الثالث العظيم ذو الشأن الدولي ، والحج السنوي الى مكة من جميع الاقطار الاسلامية هو موضوع اهتمام السياسيين والموظفين ، فانه يربط برباط واحد أبعد الاقوام وهو السبيل لنشر الآراء والسياسة في جميع البلدان الاسلامية . . . ويجوز ان يؤثر الاسلام في الموقف الدولي نظراً لوجود عدد كبير من المسلمين تحت الحكم البريطاني ، مما يدعو بريطانيا خاصة الى تجنب جرح عواطف المسلمين » . وبعد ما اشار الكاتب الى التنافس بين انكلترا وفرنسا في آسيا والى الاحاطات التي جعت للدولة العثمانية في الهند في ابان حربها مع الروسيا سنة ١٨٧٧ والى الاحتجاجات التي طيرها الهنود على ايطاليا لمهاجمتها طرابلس الغرب ومقاومتهم العنيفة لفكرة تمزيق تركيا في سنة ١٩١٩ قال «واخذت فرنسا تشعر بمرقبها الاسلامي في مراكش وافريقيا الوسطى وربما في سورية ايضاً ، وقد يؤثر هذا الحال في سياسة فرنسا الخارجية . . . وعلاوة على ذلك فالاقوام

(١) International Politics p. 43

والامم الاسلامية هذا شيء مشترك بينها يفوق الآراء الاعتقادية فالاسلام هو قانون للحياة والشريعة الاسلامية حقيقة سياسية ... وعلينا ان نتذكر ان الصفات الدينية الاسلامية بين الافكار السياسية الاسلامية هي المستولية في بعض اجزاء الهند ، وفي فارس ، وتركيا وآسيا الصغرى وبلاد العرب وبين جميع السكان القاطنين في افريقيا شمال الدرجة الخامسة عشرة من الطول الشمالي »

***

اما وقد خطا الترك هذه الخطوات الواسعة في الميدان السياسي فلا عجب ان تتناول حربهم التجددية الميادين الدينية والاجتماعية والتشريعية وما الى ذلك من الاوضاع الادبية ، فالاساليب التي نجحت في الحرب وحققت للترك استقلالهم السياسي استهوتهم ايضاً في هذه الميادين فاخذوا يتركون كل شيء حتى القرآن ، وأخذوا يطهرون على زعمهم التركية من العربية والفارسية ظنّاً منهم ان الاستقراض في اللغة عالة مثل الاستقراض في المال ، وفاتهم انهم بعملهم هذا يحرمون لغتهم من اكبر المزايا التي تشاركها فيها الانكليزية اعظم اللغات الاوربية انتشاراً . وكم ندبنا حظنا معاشر العرب لان لغتنا محافظة وهي شديدة النفرة من مثل هذا الاستقراض ، ونظرة واحدة في المدونات العلمية الحاضرة في شتى اللغات الاوربية الحية كافية لاقناع اشد المطهرين الترك تطرفاً ، بالخدمات الجلّى التي تقدمها اللاتينية واليونانية للعلماء ، وقد يستظهر الطبيب او المحامي الانكليزي او الفرنسي او الالماني المثلث او الالوف من الكلمات المشتقة من هاتين اللغتين من غير ان يشعر بأقل غضاضة وطنية

***

ومن المهازل التاريخية التي تدل على سرعة الانتقال من الماضي الى الحاضر ان الذي كان يذهب من العرب الى المشتقة في سنة ١٩١٥ وما بعدها بتهمة الخيانة للخليفة صار له زميل يقابله من الترك يذهب الى المشتقة في سنة ١٩٢٥ وما بعدها بتهمة الدعوة الى الخلافة !

وتعد النظم المتعلقة بالاحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث من اشد النظم ثباتاً ومحافظة ومع ذلك فقد تخلى الترك عما لهم منها بجملته واستبدلوا به احدث النظم التي نبتت في ديار الغرب مع تعديل طفيف لا يعد شيئاً مذكوراً

***

وقصارى القول ان تركيا من الوجهة العلمية التاريخية هي حقل تجارب اشبه بمخابر البيولوجيين وقد تكون سائرة في سبل اصلاحية لم نألفها او لا نقرها ، ومن الصعب جداً الحكم على مصيرها الاجتماعي النهائي وان كانت بوادر النجاح الاقتصادي السياسي تلازمها ملازمة جلية في مراحلها كما يتضح من مقابلة الادوار التي مرت فيها منذ نهاية الحرب العالمية الى اليوم ، ولا مشاحة في انها

باعتمادها على السلاح وعلى سواعد ابنائها قد سلكت السبيل التي يجب على كل امة تطلب الحياة ان تسلكها ، وفي وسعنا ان نتخذ منها حجة على الذين يزعمون ان الثورة لا تأتي بطائل . فلو احنى الوطنيون رؤوسهم للخليفة محمد السادس وحكومته وسجنوا على تركيا معاهدة (سيفر) المريعة فأين يكون الترك اليوم ؟ وماذا تنفعهم عصبة الامم المتفسخة وعهدها الذي لا يتجاوز جدرانها ؟ ثم ان الانقلاب الذي تم فيها حتى الآن قد سار بها شوطاً فيها تراجعت بعده لن تكون قريبة مما كانت عليه بوجه من الوجوه ؛ وهي في تنظيمها الاقتصادي ومقاومة الشرور التي تنطوي عليها الرأسمالية المتطرفة ، وفي تشجيعها العمل ومحاربة البطالة وفتح المعابر والطرق ومد السكك الحديدية وتسهيل المواصلات تسير سير الفاشستية ، ولممثليها السياسيين ومندوبيها في المؤسسات الدولية كلمة مسموعة على قدر جيشها المدرَّب وسلاحه الماضي ، ولاول مرة في الجيل الحاضر ازل زعيم شرقي بقوة السلاح رئيس وزارة دولة اوربية معظمة مثل المستر لويد جورج عن دست الوزارة بعد ما كان يدعى « منقذ بريطانيا » في الحرب العالمية

***

اما المجلس الوطني الكبير في (انقره) فهو مثال آخر على حبوط الطريقة البرلمانية القديمة في الامم الناشئة التي هي احوج ما تكون الى سرعة الانجاز في العمل ، وهو نسخة ثانية عن برلمان ايطاليا ؛ وكما يمثل هذا ارادة الدكتاتور كذلك يمثل ذاك ارادة الغازي ، بل ان موسوليني عاف اخيراً برلمانه وملّ اجتماعاته التي صار يراها عطية وعلى غير جدوى فأمر بحله ، على ان الناظر الى هذين المجلسين لا يرى فيهما بالاجمال ما يرى في البرلمانات الديمقراطية الاعتيادية من المساجلات الفارغة المملة والاعتراضات التي لا يراد من معظمها الا اظهار كفاءة المعترضين او وضع العقبات في سبيل المشروعات لاغراض في النفس ، وقد تخسر هذه الطريقة الدكتاتورية في الاحوال القليلة الانتقادات الجوهرية المخلصة الثمينة التي تصدر من النواب الاكفاء العاملين المستقلين ولكنها تعتاض عنها الاتساق وسرعة الانجاز وهو المطلوب في الدرجة الاولى في عصر الزعازع والعواصف

***

ويشعر العالم العربي بشيء من الامتعاض وخيبة الامل لمحاولة تركيا الحديثة صرم حبال المجد التي تربطها بتاريخنا المشترك ولكننا نرجو ان تكون هذه البوادر مظهراً اجتماعياً موقتاً من مظاهر النفرة من الماضي القريب فقط واحتجاجاً صاخباً على الجمود العتيق البالي ، ذلك لان الترك ثم من سليم الشرقيين ولان الامة الحية ذات التاريخ الحافل بالحوادث اهون عليها ان تنسلخ من بلادها من ان تنسلخ من دواعي مجدها وفخارها

خطط الرئيس روزفلت

نتائجها وغرضها الاجتماعي البعيد

قل ما شئت في الرئيس روزفلت ، وانظر الى أعماله بعين الاقتصادي المحافظ ، او بعين الخصم الحزبي العنيد ، وشكّ ما اردت ان تشكّ في نتائج الخطط التي يختطّها ، والوسائل التي يتوسل بها ، افعل كل ذلك ، ولكنك لا تستطيع ان تتهمهُ بانهُ قابع في البيت الابيض ، مكتوف الايادي ينظر الى الازمة نظراً جامداً ، وهو ينتظر فعل الطبيعة الشافي او علاجاً الهيًّا يهبط عليهِ من السماء

فهو رجل قال من الساعة الاولى ما معناهُ « شعارنا العمل ، والعمل السريع ، فاذا حال الكنغرس دون ذلك طلبنا ان يخوّلنا سلطة واسعة النطاق لتنفيذ الخطط التي نراها لتفريج الازمة » . وقال في رسالة بعث بها الى مجلس الامة : — « ان الاحوال الجديدة تقتضي وسائل جديدة للخلاص »

وقد مضى عليهِ تسعة اشهر في منصب الرآسة ، وهو آية في النشاط ودقة الاستجابة لمطالب الرأي العام . فانهُ بعد ما انتزع من مجلس الامة القوانين التي تخوّله السلطة اللازمة لمعالجة الحالة في خلال عطلة المجلس ، عمد الى مشروع الانعاش الصناعي فأزال المنافسة الحادّة بين اصحاب الصناعات التي ترمي الى قهر الخصم ، ولا تسفر الاّ عن خفض الاسعار وتشريد العمال ، فكان من اثر هذا المشروع ، رغم المعارضة القوية التي لقيها ، ان ارتفعت اسعار المصنوعات ، وأجور العمال وعاد نحو مليونين ونصف مليون من العمال المتعطلين الى العمل . ثم ادرك ان هذا لا يكفي في بلادٍ فيها نحو ١٢ مليون عامل متعطل عن العمل ، وان رفع الاسعار وأجور العمال لا يجدي الاّ اذا قابلهُ من ناحية الجمهور اقبالٌ على الشراء ، والاقبال على الشراء لا يتمّ الاّ اذا تداول الناس النقود ، اجوراً لعملٍ يقومون بهِ ، فأخرج مشروع الاعمال العامة ، ولكن تنفيذهُ تأخر لاسباب فنيّة . ثم تبيّن ان اسعار المصنوعات تتقدم اكثر من تقدم اسعار الحاصلات الزراعية ، وهذا يرفع اسعار المعيشة في نظر جمهور الزرّاع وهم طائفة كبيرة ، فعمد الى مساعدة الزرّاع وامدادهم بالمال على حاصلاتهم ، لقاء شروط معينة ترتبط بمساحة الاراضي المزروعة وغيرها . ثم رأى ان يعمد الى شراء الذهب في السوق الاميركية والاسواق الخارجية بتعيين سعرٍ له اعلى من سعر السوق ، فيخفض بذلك سعر الدولار ، واذا خفض سعر الدولار ارتفعت اسعار الحاصلات والمصنوعات ، وهو ما يتوخّاه . وسوف يمضي في هذه السبل جميعاً الى ان يبلغ مستوى الاسعار ما كان عليه سنة ١٩٢٦ . وهو متوسط اسعار البضائع والمحصولات بعد الحرب . وعندئذ يستطيع المدين ان يسدد دينه من دون ان يغبن

اذا نظرت الى خطط الرئيس روزفلت نظر الاقتصادي المحافظ ، تحيرت وفهمت الحيرة التي اصابت الدوائر المالية العالمية . ولكن اذا شئت ان تفهم ما يرمي اليهِ ، وجب ان تنسى مبادىء الاقتصاد الى حين ، وتعمد الى النظر في المسألة من ناحيتها السياسية والاجتماعية

ذلك ان الانتخابات التي تمّت من سنة لم تسفر عن مجرّد انتقال السلطة من هوفر الى روزفلت ،

او من الجمهوريين الى الديمقراطيين ، وانما كانت ثورة او انقلاباً ، بكل ما في الثورة والانقلاب من المعاني الصميمة . فهذا الانتخاب اسفر عن انتقال السلطة من أيدي الدائنين الى أيدي المدينين ، وهذا النزاع بين الدائن والمدين في اميركا يقابل الى حدٍّ بعيد ، النزاع الصامت احياناً والصاخب احياناً اخرى ، بين المتمول والعامل في اوربا . على ان الحزب الذي فاز ، اي الحزب الديمقراطي ، ليس حزب مدينين فقط ، ولا الحزب الذي خذل ، اي حزب الجمهوريين ، حزب دائنين فحسب . بل في كلا الحزبين عناصر قوية من الفريقين . واذا اتفق ان الحزب الجمهوري بعد بقائه في الحكم اثنتي عشرة سنة ، أصبح معروفاً بأنهُ خادم لمصالح فريق خاص ، هو فريق الدائنين . واما الحزب الديمقراطي ، فبعد قليل من التردّد ، وقف موقف المدافع عن مصلحة المدين . وقد أسبغ عليهِ الرئيس روزفلت ثوباً خلاّباً ، اذ دعاهُ « بالرجل المنسيّ » ، اي الذي نسيت مصالحه ولم ترَ الرعاية اللازمة . فكان لهذه العبارة رنّة وأثر في الانتخابات فهذا الانقسام في حياة اميركا السياسية لهُ خطرهُ ، وقد فات بعض الناس في البدء ، ولا يزال فريق منهم يجهل ما لهُ من الشأن الخطير . فالرئيس صرّح من البدء ، انهُ يرمي الى اعادة توزيع الثروة توزيعاً يقضي على سيطرة الممولين المطلقة ، على حياة الامة الاميركية ، وان الممولين في المستقبل يجب ألا يكونوا ، الا أمناء من قبيل الامة ، على ادارة المشروعات الكبيرة ، لقاء مرتب لا بأس بهِ . ثم قال انهُ في السير وراء غرضهِ ، لا ينبغي ان يجري على المبادىء والاصول المعروفة ، بل سوف يبتدع وسيلة أثر اخرى ، بعضها قديم وبعضها جديد ، بعضها جرّب وبعضها لم يجرّب ، حتى يبلغ الحجة ويحقق الغرض

* * *

مضت ستة أشهر او تزيد على شروع الرئيس روزفلت والجنرال هيوجنصن وأعوانهما في تنفيذ مشروع الانعاش الاقتصادي الذي قصدا بهِ الى اعادة الرخاء في اميركا . وقد صرح الجنرال جنصن عند شروعهِ في تنفيذ الخطط الجديدة أنه في خلال شهرين يعرف مصيرها ، نجاحاً او اخفاقاً . ولما كانت المصاعب والعراقيل المتنوّعة التي قامت في سبيل العمل ، لم تكن في الحسبان ، فقد كان من الانصاف ، ان يؤخر الحكم على المشروع او لهُ الى حين . والكلمة التالية نظرة اجمالية في نتائجهِ

كان غرض مشروع الانعاش سامياً أهم وجوهه تقصير ساعات العمل ، وانعاش الصناعات الكاسدة ، ونقص العمال المتعطلين ، ومساعدة الزراع ، وزيادة مقدرة الجمهور على الشراء . فالحكم على المشروع يقوم بالنظر في هذه الاغراض ما حقق منها وما لم يحقق

كان الجانب الاول من المشروع الذي وضع موضع التنفيذ ، تقصير ساعات العمل ورفع مستوى أجور العمال . فوضعت الدساتير الصناعية لكل صناعة على حدة وأمضيت ، واستعمل الضغط والاجبار في بعض الاحيان لحمل أصحاب الصناعات المتملكين على امضائها . فنقصت ساعات العمال ورفعت اجور العمال . ولكن النتائج لا تبعث على الرضى التام . لان تقصير ساعات العمل وزيادة الاجور للعمال ، يعني زيادة نفقات الصناعة والانتاج ، وهذا لابدَّ ان يظهر في أثمان البضائع التي تظهر في السوق . حتى وزيرة العمل الاميركية المس بركنز ، تصرح اليوم ، بان المشكلة هي ايجاد طريقة لرفع الاجور

رفعاً حقيقياً لا رفعاً نسبياً ، إذ ما يجني العامل من زيادة اجوره ، اذا زادت نفقات معيشته ، مثل زيادة أجوره ، او فاقتها . فالأجور زادت ، ونفقات الانتاج ارتفعت ، وأسعار العروض انخفضت ما كانت عليه وما تزال آخذة في ذلك ، ويظن بعض الخبراء ، أن اجور العمال الحقيقية سوف تصبح في آخر الشتاء ، أقل مما كانت في العهد السابق لروزفلت

وكان احد الاغراض كما قدمنا انعاش الصناعة الكاسدة ، والاحصاءات الاخيرة تشير الى نقص في انتاج الصناعات الثقيلة (كالصلب والحديد والفحم) في سبتمبر عن يوليو وأغسطس . ففي منتصف شهر يوليو الماضي كان انتاج مصانع الصلب ٥١ في المائة من الانتاج الذي تستطيعهُ . وهو الآن ٣٤ في المائة فقط . ونقص استهلاك القطن من ٦٧١ الف بالة في اغسطس سنة ١٩٣٣ الى ٥٧٥ الف بالة في سبتمبر (يقابلهما ٥٥٨ الف بالة في سبتمبر سنة ١٩٣٢) والاحصاءات من معظم الصناعات الاخرى ، تشير الاشارة نفسها ، لذلك ترى زعماء الصناعة منقبضين لهذه الحالة ، وبعضهم — ومنهم المستر فورد — يقاومون المشروع مقاومة سلبية . فيشتكون من أن الدساتير الصناعية أسفرت عن زيادة اضطرابات العمال . فالاضراب والشغب ، ممتدان من شاطىء المحيط الاطلنطي الى شاطىء المحيط الهادىء . ولذلك تراهم ينظرون نظرة تشاؤم الى الحال ، وخوفهم من زيادة نفقات الانتاج حمل بعضهم على نقل أعمالهم الى كندا . أما في مسألة نقص العمال المتعطلين فقد قصّر المشروع عن الغرض الذي عينه ، مع ان ما تم لا يمكن ان يستصغر شأنه على الاطلاق فقد عين الجنرال جنصن يوم ٨ سبتمبر الماضي ، ميعاداً لاعادة ٦٠٠٠٠٠٠ عامل الى العمل . فما حلّ ذلك اليوم كان قد عاد مليونا عامل الى العمل فقط . واعادة مليوني عامل الى العمل في خلال شهرين ليس بالامر اليسير ، ولكن اذا نظرنا الى ان المتعطلين في اميركا كانوا يربون على ١٢ مليوناً ، عرفنا أي غرض بعيد ، وضعه للرئيس ومعاونه نصب عيونهما وقد زاد عدد العمال الذين عادوا الى العمل الآن الى نحو ثلاثة ملايين

وكان الظنُّ انه لا يلبث ان يوضع مشروع الاعمال العامة — الطرق والتحريج والمباني العامة — موضع التنفيذ ، حتى يحتاج القائمون به الى نحو مليون من العمال ولكن تنفيذ المشروع تأخر تأخراً غير منتظر ، لقيام العراقيل الفنية في وجه مديريه ، لان كل عمل من هذه الاعمال يحتاج الى دراسة مستفيضة من الوجهة الفنية والهندسية قبل اقراره ، واميركا بلاد مترامية الاطراف ، وهذه الدراسة لا يمكن اتمامها بسرعة ، على وجه يدعو الى الثقة

أما الحالة الزراعية فخطيرة كل الخطورة ، لان طوائف كبيرة من الفلاحين ، ثائرة على الحكومة فالاضراب والشغب ممتدان في الولايات الزراعية . وقد أنذر زعماء الفلاحين ، الرئيس روزفلت ، بانه اذا لم يفعل في الحال ، ما يساعد الفلاحين ، امتد الاضراب والشغب . وأصل البلاء ارتفاع اسعار المعيشة ، وهبوط أسعار الحاصلات . فما يشتريه الفلاح غال ، وما يبيعه رخيص . ففي خلال اربعة أشهر من ١٥ ابريل الى ١٥ يوليو ارتفعت أسعار الحاصلات قليلاً . ووعد الرئيس بعمل كل ما يمكن عمله لرفعها كذلك . ولكن رغم ما توسلت به الحكومة ، من حرق ٦ ملايين خنزير ،

وطن القطن في الريف من الافدنة ، وإمداد زراع القمح بالنقد ، هبطت الاسعار ولم ترتفع . والفلاحون الاميركيون ، لا يستطيعون ان ينظروا الى المسألة من كل وجوهها ، ولا هم يدركون المصاعب التي تلقاها الحكومة ، والعراقيل التي تقوم في وجهها ، ولا هم يقدرون الجهود الجبارة ، التي يبذلها الرئيس واصحابهُ وعلاوة ذلك بالازمة العالمية . وكل ما يهمهم هو ان يزيد مقدار ما ينالونه من النقد ، لقاء قطنهم ولبنهم وخضراواتهم ، ليدفعوا بهِ ثمن ملابسهم وحاجاتهم الاخرى. فهم محتقنون على الحكومة والاضراب والشغب ، اعراب عن حنقهم هذا. وقد حاول الرئيس وصحبه زيادة حركة البيع والشراء ، بالقيام بدعاية قوية عنيفة واسعة النطاق يدعى بها الشعب الى الشراء الآن كان شعارها «اشتروا الآن» . ولكن الدعاية لم تسفر عن نجاح كبير. فالاسعار آخذة في الارتفاع ، والناس وقد أُسيء اليهم ممتنعون عن الشراء ويميلون الى خزن دريهماتهم لليوم المطير

فالرئيس روزفلت يواجه حالة صعبة معقدة . لقد فقد كثيراً من أنصاره . وبعض أصحاب البنوك والصناعات ، بل كثير منهم ، يقاومونه والفلاحون جازعون لا صبر لهم على هذه الحالة . وقد كان اتحاد العمال الاميركي ، مؤيداً له ، وقد بدأ ينتقد . وتقلُّب الدولار يحير التجار والصناع . والجمهور فقد شيئاً كبيراً من حماسته . والجنرال جنصن جانباً من ثقته . فانه لما خطب في ١٦ اكتوبر الماضي أشار الى وجوب ايجاد «طريقة للخروج من هذا المأزق» وما كان يعترف بهِ من قبل

بعد كتابة هذه السطور جاءت الانباء من الولايات المتحدة الاميركية ان سمة التفاؤل عادت الى الناس . فالاسعار عادت الى الارتفاع ، وزاد انتاج المصانع ، على ما يستدل من زيادة ما تنتجهُ صناعة الحديد والصلب ، ونشاطها في الغالب يؤخذ مقياساً لنشاط حركة الصناعة والتجارة في اميركا. وكان الاستاذ سبراغ خبير الخزينة قد صرّح يوم استقال ان حكومة روزفلت لا تلبث ان تفقد ثقة الناس بمقدرتها المالية ، ولكن الانباء الاخيرة تشير الى ان الثقة عالية الحكومة لا تزال كالصخر الراسي والشعب من وراء الرئيس يؤيده في محاولاته الجبارة يدلّ على ذلك استقرار الحال في المناطق الزراعية والمرجّح ان يكون الرئيس ، عند اجتماع مجلس الامة في يناير ، السيّد القابض على ناصية الحال

هذه هي الحالة ملخصة . أما مقاومة بعض العناصر لروزفلت فمفهومة . أصحاب المصانع والبنوك يقاومونه ، لان روزفلت لا يرمي فقط الى اعادة الرخاء الى اميركا ، بل الى اقامة الاجتماع الاميركي على أساس ، لا يكون المرابون والماليون أصحاب السيطرة عليه . وهو يرمي الى تخفيف أعباء الديون الاهلية . والخاسر في ذلك الدائن و « البنكير » . قد يعيد المشروع الرخاء الى اميركا . وقد يفضي بها الى الفوضى . فاذا أفضى الى الفوضى فقد يكون روزفلت آخر الرؤساء ، على ما قال في نكتة لاحد أصحابه . ولكننا نميل الى الاخذ بأن نتائج مشروع الرئيس ، أعظم من ان يحكم عليها في الحال ، وأبعد ظهوراً من شهر أو شهرين ، وسنة أو سنتين . إنه يرمي الى تنظيم الحياة الاقتصادية بعد ما كانت الحياة الاقتصادية سائرة على فلسفة Laissez—Faire أي ترك الامور تجري في أعنتها وكل دور انتقال في التاريخ يصحبه نوع من الفوضى والاضطراب ، يحير البصر ويزيغ حكم المعاصرين

الحوادث الدولية

كانت سنة ١٩٣٣ حافلة بالحوادث الدولية الجسام. ففي يناير تقلّد هتلر منصب المستشار في دولة الريخ، وفي مارس تقلّد فرنكلن روزفلت رئيساً للولايات المتحدة الاميركية، وما كاد يتسلّم مقاليد الرآسة، حتى دعا رؤساء الحكومات المدينة لاميركا للمباحثة في شؤون الديون وبرنامج المؤتمر الاقتصادي العالمي تخفّ في من خفّ الى وشنطن المستر مكدونلد ممثلاً لبريطانيا والمسيو هريو ممثلاً لفرنسا، وكانا لا يزالان في عرض البحر لما أعلن الرئيس حظر اصدار الذهب من الولايات المتحدة الاميركية. وفي يونيو اجتمع المؤتمر الاقتصادي العالمي في لندن. فظهر في الحال ان الاتفاق على المسائل الاساسية فيه متعذّر، لان الولايات المتحدة الاميركية، رفضت تثبيت النقد، وجارتها في ذلك بريطانيا. ففضّ المؤتمر على ان تبقى لجنة دولية مهمتها ان تدعوه الى الاجتماع متى ظنّ ان احوال العالم الاقتصادية والمالية مواتية للاتفاق. ثم اجتمع مؤتمر نزع السلاح وفضّ على ان يجتمع في اكتوبر فلما اجتمع ثانية في اكتوبر ظهر ان الاتفاق مع المانيا متعذّر، لانها رفضت الاقتراح الفرنسي القاضي بفترة طولها اربع سنوات لا يسمح لالمانيا في خلالها ان تتسلّح. ولما اجتمعت جمعية الامم في سبتمبر واكتوبر، وتبين لالمانيا انهُ لا يمكن تحقيق مبدإ المساواة الذي سلم لها به، هجرت جمعية الامم وخرجت من مؤتمر نزع السلاح في ١٤ اكتوبر. واجريت الانتخابات الالمانية في ١٢ نوفمبر ففاز فيها هتلر بتأييد يكاد يكون اجماعيًّا. وحتى ان يستعمل هذا الفوز لاحداث حدث في السياسة الدولية، ولكنهُ عمد في الحال الى عقد معاهدة عدم اعتداء بين المانيا وبولونيا. وفي خلال ذلك انشأت دول الاتفاق الصغير شبه اتحاد سياسي اتفقت فيه على توحيد سياستها الخارجية، وعقدت روسيا معاهدات عدم اعتداء مع جيرانها، وفازت في نوفمبر باعتراف حكومة الولايات المتحدة بها، وخرجت اميركا عن قاعدة الذهب، وعمد روزفلت الى طريقة شراء الذهب في السوق الاميركية والاسواق العالمية لخفض سعر الدولار ورفع اسعار البضائع والمحصولات الاميركية، ونشبت ثورة في كوبا، وتقرّبت تركيا من اليونان وبلغاريا ويوجوسلافيا ورومانيا، واحتفلت في ٢٩ اكتوبر بانقضاء عشر سنوات على انشاء الجمهورية. واحتفلت النمسا باستقلالها بتأييد فرنسا وايطاليا وبريطانيا واعلن المجلس الفاشستي الاعلى انهُ لابدَّ من اصلاح جمعية الامم. وتوالت الوزارات الفرنسية بعد سقوط وزارة دالاديه حتى فازت اخيراً وزارة المسيو شوتان في مجلس النواب والشيوخ بالموافقة على المقترحات المالية التي تمكنها من موازنة الميزانية الفرنسية، وأسفر الانتخاب الاسباني في ١٩ نوفمبر عن اتجاه الى احزاب اليمين فحدثت حوادث شغب قام بها الشيوعيون والسنديكاليون. ولكن الحكومة قبضت على ناصية الحال والتفت وزارة راديكالية. وفي ٣ ديسمبر اجتمع مؤتمر الجامعة الاميركية في منتيفيديو عاصمة باراغواي والراجح انهُ يسفر عن تقلد جمهورية الارجنتين زعامة جمهوريات اميركا الجنوبية المتوسطة